جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

سلسلة الدراسات القرآنية

تأملات في سورة إبراهيم

تفسير بلاغي تطبيقي

تأليف
الدكتور عادل أحمد صابر الرويني

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

تأمّلاتٌ في

سورة إبراهيم عليه السلام

تفسيرٌ بلاغيٌّ تطبيقيّ

تأملات في سورة إبراهيم

تفسير بلاغي تطبيقي

تأليف : د. عادل أحمد صابر الرويني

الطبعة الأولى : ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ©

طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات

رقم (رق/ ١٢/ ٢٠١٢ / ١٤١٧ تاريخ ٢١/ ٠٣/ ٢٠١٢م)

ما ورد في هذا الكتاب يعبّر عن رأي صاحبه ولا يعبّر بالضرورة عن رأي الجائزة

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

وحدة البحوث والدراسات

ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٢٦١٠٦٦٦ ٤ ٩٧١ +

فاكس: ٢٦١٠٠٨٨ ٤ ٩٧١ +

الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae

البريد الإلكتروني : Rs@quran.gov.ae

إهداء

إلى أمي رحمها الله، ينبوع الحب والحنان، والصبر والتضحية، محبة العلم والعلماء..

ثم إلى والدي الحنون أطال الله عمره، رمز نقاء الصدر، وصفاء السريرة، وطيبة القلب..

ثم إلى زوجتي الغالية التي ضحت ومازالت من أجل توفير الجو الملائم لي للبحث والعلم..

ثم إلى أولادي الأعزاء (فاطمة ـ أحمد ـ الشيماء ـ عبد الرحمن): حبات قلبي، وفلذات كبدي، الذين ظهرت بصماتهم جلية في كل كتاب ألفته، والذين ضحوا بأوقاتهم وراحتهم من أجل مساعدتي في إخراج كتبي إلى النور.

وأخيراً: إلى كل من شجعني على إخراج تلك الكتب إلى النور ولو بكلمة طيبة، أو بدعوة مخلصة.

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، خاتم النبيين وإمام المرسلين، وخير خلق الله أجمعين، ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن كتاب الله عزّ وجلّ هو حبل الله المتين، والنور المبين، والصراط المستقيم، والحجة الباقية إلى يوم الدين، من تمسك به فاز في الدارين، ومن أعرض عنه تبوأ شر المنزلين، لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢]، الاشتغال به عبادة، تلاوةً كان أو تدبراً أو حفظاً أو دراسة أو نظرًا أو تعلّمًا أو تعليمًا، وقد تكفل الله سبحانه بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وجعله المعجزة الخالدة لنبيّه سيدّنا محمّد ﷺ إلى يوم الدين، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد صرف علماء الأمة ـ سلفاً وخلفاً ـ إليه هممَهم، ووجهوا إليه عنايتهم، ينهلون من معينه، ويتزودون من علومه، ويغوصون في أسراره، ويستخرجون اللآلىء من بحره، ويستضيئون بإشاراته إلى الكون والإنسان والحياة، ليقفوا على أوجه إعجازه المختلفة، ليستبين للعالم اليوم أنه الحق من عند الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

ومن منطلق رسالة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في نشر الثقافة القرآنية، وتعميمها، يشرفها أن تسهم في خدمة كتاب الله العزيز، وتقدم إلى المكتبة الإسلامية في سلسلة الدراسات القرآنية هذا الكتاب «**تأملات في سورة إبراهيم ـ تفسير بلاغي تطبيقي**» الذي ترجو أن يكون لبنة مهمة في المكتبة القرآنية. راجين المولى عزّ وجلّ أن يجعل هذا العمل وغيره من إنجازات الجائزة صدقة جارية في صحيفة أعمال **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربيّة المتّحدة ، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي**، راعي الجائزة الذي أنشأ هذه الجائزة لتكون منار خير تنشر ما تجود به القرائح في حقل الدراسات القرآنية، وتخدم القرآن الكريم بسبل شتى، فجزاه الله عن القرآن وأهله خير الجزاء.

ورغبةً في إسناد الفضل لأهله، فإن وحدة البحوث والدراسات في الجائزة تتقدم بالشكر والتقدير إلى رئيس اللجنة المنظمة للجائزة سعادة المستشار إبراهيم محمد بوملحه، مستشار صاحب السمو حاكم دبي للشؤون الثقافية والإنسانية الذي ما فتئ يشجع نشر الكتب العلمية القيمة في إطار رسالة الجائزة في خدمة كتاب الله الكريم وسنة رسوله العظيم ﷺ.

وفي الختام نسأل الله أن يجزل الأجر والمثوبة لمؤلف هذا الكتاب، ولكل من أسهم في خدمته وتصحيحه وتدقيقه وإخراجه في هذا الثوب القشيب.

وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الدّكتور مُحَمَّد عَبْد الرَّحِيم سُلْطَان العُلَمَاء

رَئِيس وَحْدَة البُحُوث وَالدِّرَاسَات

تقديم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الشريك والندّ والولد، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأيده بالمعجزة الخالدة التي أعجزت العرب الفصحاء، ووقفت دونها عقول البلغاء، وما استطاعوا إلى معارضته سبيلاً، وعلى آل بيته الأطهار الطيبين، وصحابته الأخيار المتقين، ومن استن بسنته إلى يوم الدين، وبعد..

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، ونوره المبين، وهدىً للمتقين، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملّه الأتقياء، ولا يخلَق على كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه أجر، ومن عمل به هدي إلى صراط مستقيم، ولذلك، فإن أفضل ما يقدمه الباحثون، وأسمى ما يسعى إليه المؤلفون في بحوثهم وتآليفهم، ما كان في خدمة القرآن الكريم وعلومه الجليلة الباهرة، لاسيما علم البلاغة العربية، فإنه من أسمى العلوم قدراً، وأرفعها شأناً، وأوفاها أداءً، وأجلها غاية، لأنه بها ينكشف وجوه الإعجاز الكامنة في نظم القرآن، لذا فإن أحق هذه العلوم بالتعلم وأولاها بالفهم والحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة كما قال «الزمخشري» في مقدمة تفسيره.

وقد وفّق الله **الدكتور عادل أحمد صابر الرويني** وأعانه على الإسهام في بناء صرح البلاغة القرآنية فأصدر سلسلة من الدراسات القرآنية تتجه إلى الكشف عن الأسرار البلاغية الكامنة في مفردات وتراكيب النظم الحكيم على قدر ما أفاء الله على الباحث من تهيؤ واستعداد وتوفيق وخلوص نية واستحضار فكر، سعياً وراء المقصد والغاية، وهذا الكتاب هو السادس في سلسلة البلاغة القرآنية بعنوان: «تأملات في سورة إبراهيم: تفسير بلاغي تطبيقي»، وتناول الباحث في هذا الكتاب سورة إبراهيم بالتحليل اللغوي البلاغي الذي يكشف عما يكنّه الأسلوب القرآني من قيم تعبيرية ولمحات فنية، وسمات أسلوبية، وبذل جهداً يذكر له فيشكر عليه في أن يكون بحثه تطبيقاً بلاغياً يكشف للقارئ أسرار إعجاز القرآن، ويجسد أمام عينيه عظمة القرآن ليوقن أنه ليس من كلام البشر، وإنما هو من كلام الله رب العالمين، ومنهج الباحث في دراسته لهذا الكتاب هو المنهج التحليلي التكاملي الذي يقوم على تحليل المفردات والتراكيب لغوياً وبلاغياً، فيبين دقة نظم الكلمة في التركيب الذي يضمها، مراعياً دلالتها من حيث مادتها مبنىً ومعنىً، ومن حيث صيغتها فعلاً أو اسماً، مشتقاً أو جامداً، مفرداً أو مثنىً أو مجموعاً، معرفاً أو منكراً، ومن حيث ترتيبه في النظم مقدماً ومؤخراً، ومن حيث ذكره أو حذفه، وأبان الباحث عن المعاني والأسرار البلاغية الكامنة في التراكيب وتنوعها إلى خبرية وإنشائية، وما توحي به من أسرار ودقائق تفهم من السياق وفقاً للمقام والغرض المقصود، وعلاقات الجمل وارتباط بعضها ببعض، والتعرف على المعاني والأحداث من خلال تناسق نظم الجمل.

كما وقف الباحث أمام بعض الآيات المتشابهات يتدبر معانيها، ويبين ما اختصت به من الصياغة وفقاً لسياقها والغرض منها، ودحض شبه الطاعنين على أسلوب القرآن الكريم الذين ينظرون إلى صياغته نظراً سطحياً مغرضاً، وأظهر تهافت طعونهم، وبيّن

الباحث أسباب نزول بعض الآيات لتكون عوناً على فهم السياق، كما أشار إلى اختلاف القراءات القرآنية أحياناً وتوجيهها بلاغياً، وربط التفسير البلاغي بالواقع المعاصر المتصل بالقضايا الإنسانية والاجتماعية في حياتنا، ووثّق بحثه بالرجوع إلى آراء المفسرين واللغويين والبلاغيين من القدماء والمحدثين الذين كانت لهم دراسات فاحصة ودقيقة في مجال الدراسات البلاغية حول النظم القرآني، وكان يناقشهم أحياناً مرجِّحاً بعض الآراء على الأخرى، وعطاءات القرآن متجددة لا تقف عند حدّ ولا تتناهى، فهي تتجدد بالمعاودة لقراءة الآيات وتدبر معانيها مرات مرات، في أوقات متباعدة أو متقاربة وفي أحوال مختلفة، فيبدو للقارئ ما لم يبدُ له من قبل، وستظل عطاءات القرآن تتجدد لكل الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

واللهَ أسأل أن يثيب فضيلة المؤلف على ما بذل من جهد، وأنفق من وقت ومال، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجزيه عنهم خير الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أ.د. عبد الله محمد سليمان هنداوي
الأستاذ المتفرغ بكلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الكائنات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وأيّده بمعجزة قاهرة أعيت الفصحاء وأبهتت البلغاء وأخرست أرباب البيان، وقد بهتوا جميعاً عن معارضة القرآن الكريم، فعجزوا على أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه.

وبعد،

فإن القرآن الكريم كتاب الله العزيز وحبله المتين والنور المبين الهادي إلى الصراط المستقيم، وإن المتأمل في كتاب ربنا، والمتدبر لبيانه ليجد عجباً لما هو عليه من روعة البيان وإعجاز البلاغة، وستظل عطاءاته البلاغية متجددة، وأسراره البيانية متوهجة لمن يفتح الله تعالى له شيئاً من مغاليق تلك الأسرار، لتبقى معجزة القرآن الكريم إلى يوم الدين، وصدق الله العظيم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وتزخر المكتبة البلاغية القرآنية بآلاف الكتب والإسهامات في بيان شيء من أسرار هذا الكتاب المعجز، ولقد كان من توفيق الله تعالى لي وتيسيره أن منّ عليّ بمعايشة ذلك الكتاب المعجز معايشة طويلة امتدت لسنين كثيرة، وكان من ثمرتها (من سلسلة البلاغة القرآنية) وهي سلسلة تعنى بالجانب التحليلي التطبيقي للبلاغة القرآنية.

وكتابي هذا «تأملات في سورة إبراهيم» هو الكتاب السادس في تلك السلسلة المضيئة المباركة.

وأؤثر تناول سورة قرآنية بعينها بالتفسير والتحليل، لأبرز أهم خصائصها البلاغية باعتبارها وحدة واحدة.

ويخطئ كثير من الناس مَنْ يسفه أو يقلل من شأن كتاب معاصر في التفسير بزعم أنه نصوص مقتبسة من كتب التفسير المختلفة، مادام المؤلف قد أضاف جديداً حتى ولو كان قليلاً، واجتهد وناقش آراء سابقيه وحاور ورجح، واختط لنفسه نهجاً وأسلوباً وتناولاً يبرز شخصيته العلمية.

وإنك لتعجب عندما تقرأ كثيراً من كتب التفسير القديمة حيث تجد تكراراً ونقلاً من اللاحق لآراء السابق وتفسيره!! وازن مثلاً بين كتابي «إرشاد العقل السليم»، لأبي السعود، و«روح المعاني»، للآلوسي ستجد كثيراً جداً من التشابه.

واقرأ «تفسير النسفي» ستجده تلخيصاً لرأي سابقيه في كثير من المسائل البلاغية، وغير تلك الكتب كثير جداً، تجد فيها تكراراً ونقلاً، ومع ذلك لا نستطيع أن نغمط جهود هؤلاء العلماء الأفذاذ، أو نقلل من شأن أعمالهم.

أرى أن هذا التنويه كان ضرورياً؛ لأن أصحاب النظرة العجلى يرون أن كثرة الإحالة إلى الآراء وأصحابها، وكثرة النقول عن الآخرين في التفسير مما ينقص من قدر العمل، متناسين طبيعة التفسير التي تقتضي أن تذكر آراء السابقين، وذلك من باب الأمانة العلمية.

وكتابنا يعتمد على المنهج التحليلي التطبيقي، فهو تفسير بلاغي تطبيقي؛ لذا لم نقسمه إلى فصول أو أبواب، ومن الجديد فيه أننا ربطناه ببعض القضايا الاجتماعية المعاصرة بأسلوب سلس يصل إلى القلوب والأفهام في يسر وسهولة.

وقد عنونت كل آية أو مجموعة من الآيات في سورة «إبراهيم» بعناوين مختلفة تندرج تحت غرض معين يجمعها، وقد تعرضت للآيات المتشابهة في السورة مع أخواتها في السور الأخرى وبيّنت أوجه الاتفاق والاختلاف بينها والسرّ في ذلك.

ولم أغفل الوقوف أمام كثير من مسائل النحو والصرف؛ لأبيِّنَ ارتباطها بالبلاغة، ناهيك عن الوقوف عند المفردات، والمترادفات؛ لبيان أوجه الاختلاف في المعنى.

كما أنني وقفت أمام رسم بعض الكلمات القرآنية، وحاولت بيان وجه ارتباطها بالمعنى في سياقها ومقامها، والنية منعقدة إن شاء الله على إفراد ذلك في مبحث مستقل إن شاء الله.

وقد وقفت خاشعاً متدبراً متأملاً الحرف والكلمة والجملة والآية القرآنية، وحاولت استخراج شيء من البلاغة فيها، كما أنني لم أغفل القراءات وتنوعها وبلاغتها.

وجاء أسلوبنا خطابياً في بعض الأحيان؛ لدفع الرتابة، وهذا الأسلوب ليس جديداً فهو مبثوث في الكتب في مختلف فروع المعرفة. ومعظم الاستطرادات التي استدعاها السياق ألحقناها بالحاشية.

وقد ختمت الكتاب بملحق بأهم المصطلحات البلاغية التي وردت في الكتاب لتكون عوناً للقارئ غير المتخصص وزاداً له ليتمكن من معايشة الكتاب وفهم ما ورد فيه.

وقد اشتمل الكتاب على مجموعة من الفهارس هي:

١ـ فهرس المصادر والمراجع.

٢ـ فهرس الآيات القرآنية.

٣ـ فهرس القراءات.

٤ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٥ـ فهرس الأشعار.

٦ـ فهرس المحتويات.

وأخيراً، فهذا عمل بشري، وجهد شخصي يتجاور فيه الخطأ والصواب، فالله أسأل أن يثيبني على هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يرزقني فيه إخلاص النية، وأن يغفر لي زلاتي.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم

د. عادل بن أحمد صابر الروينى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

تسمية السورة:

سورة إبراهيم: سورة لا يُعرف لها إلا هذا الاسم، وقيل: سميت سورة إبراهيم، لما فيها من قصص إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، وسكن إسماعيل وذريته بجوار البيت الحرام[١]، ولكنني لا أتفق مع هذا الرأي بدليل قولة صاحبه نفسه: «.. ولكن لم يتخذ شخص إبراهيم ـ عليه السلام ـ محور السورة كما كان الشأن في سورة يوسف عليه السلام»[٢].

العلاقة بين اسم السورة ومضمونها:

قال الفراهي في مقدمة كتابه (نظام القرآن وتفسير ألفرقان بالفرقان) والتي أسماها (فاتحة نظام القرآن) ـ وقد جعلها مقدمات متعددة ـ: «ولما كان اسم شيء عنواناً لمعناه وقد اشتهر من الأسماء ما لا يخبر عن معناها، فاعلم أن أسماء السور على أربعة وجوه:

الأول: تسميتها بلفظ من أوائلها، فمنه فيما نقله السيوطي: سورة الحمد، وبراءة، وسورة سبحان، وطه، وحواميم، ويس، والرحمن، وتبارك، وسأل، وعمَّ،...

---

(١) انظر: زهرة التفاسير للإمام محمد أبو زهرة ٨/ ٣٩٧٦.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

والثاني: تسميتها بلفظ اختص بها كالزخرف والشعراء والحديد والماعون وغير ذلك، فهذه الأسماء لا تنبئ عن مقصد السورة، ولكنها كالشامة والسمة تتميز بها مسمياتها، وكانت العرب تسمي الرجال والأشياء هكذا كالمتلمس وتأبط شراً، وهكذا المنطقي يميز المعاني بعرض خاص ليس فيه شيء من حقيقة المعنى.

والثالث: تسميتها بلفظ يخبر عن بعض المعاني العظيمة كتسمية سورة النور؛ لاشتمالها على آية النور وتسمية سورة آل عمران وسورة النساء وسورة إبراهيم وسورة يونس، وكثير من الأسماء على هذا الأسلوب.

والرابع: تسمية السورة بما ينبئ عن المقصد الذي بنيت له السورة، فمنها تسمية الفاتحة بسورة الصلاة، وتسمية براءة بسورة بني إسرائيل، وسورة محمد بسورة القتال، وسورة الإخلاص، والمعوذتين.

فهذا الوجه الرابع يخبر عن فهم من سمى السورة به، فلو سموا كل سورة على هذا الوجه لظهر نظام السور لكل متوسم، ولا بأس عندي أن نسمي كل سورة بما يهدي إلى معناها إن لم يمنع الشرع»[1].

وقد نقلت النص على طوله لأهميته.

وذهب البقاعي في معرض حديثه عن هذا الموضوع إلى أنه توجد علاقة وثيقة بين اسم كل سورة وبين مقصودها، وإن شئت قلت: إن محور الأمر في تسمية السورة القرآنية إنما يرجع إلى ذلك الاسم الذي سميت به، والمرتبط ارتباطاً متيناً بالمقصود الأعلى أو الغرض العام أو المعنى الكلي المهيمن على السورة كلها[2].

---

(١) نظام القرآن وتفسير الفرقان بالفرقان للفراهي.

(٢) هذا ملخص رأي البقاعي، راجع الرأي مفصلاً في كتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ١٨، الناشر مكتبة ابن تيمية.

والراجح عندي رأي الفراهي؛ لأنه أكثر تفصيلاً، وبعداً عن التعسف والتكلف كما في رأي البقاعي.

وإذا أردنا أن نطبق هنا أحد الضوابط التي ذكرها الفراهي على سورة إبراهيم: فإننا نشير إلى أن الغرض العام في السورة هو التوحيد، وأوضح ما فيها من الدلالة على هذا المقصود قصة إبراهيم عليه السلام، كما سنعرف بالتفصيل إن شاء الله.

وسورة إبراهيم سورة مكية باستثناء الآيتين: الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين[١]. وعدد آيات السورة اثنتان وخمسون آية، ونزلت هذه السورة بعد سورة «الشورى»، وقبل سورة «الأنبياء» وهي السورة السبعون في ترتيب السور في النزول[٢].

ترتيب السورة:

أما عن سر وضعها في المصحف الشريف بعد سورة الرعد فهو أن مطلع سورة إبراهيم مرتبط بقوله ـ تعالى ـ في سورة الرعد: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] على أن المراد بـ(مَن) هو الله ـ تعالى ـ، كما أن في الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ [الرعد: ٣٢] وقد أجمل في هذه الآية الحديث عن الرسل، والمستهزئين وصفة الاستهزاء والأخذ، وفي سورة إبراهيم فُصِّل الحديث عن هذه الأربعة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

---

(١) انظر مثلاً: تفسير البغوي المسمى بـ(معالم التنزيل).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور.

العلاقة بين خاتمة سورة «الرعد» وفاتحة سورة «إبراهيم»:

المناسبة واضحة بين خاتمة سورة «الرعد» وفاتحة سورة «إبراهيم»؛ ففي كل منهما إشارة إلى القرآن الكريم الكتاب المعجز[١]، اقرأ قول ربك في خاتمة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وبُدئت سورة «إبراهيم» بقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] كما تشابه مطلع سورة «الرعد» مع مطلع هذه السورة في الحديث عن القرآن الكريم، قال تعالى في مطلع سورة «الرعد»: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]

الحروف المقطعة:

كما بُدئت كلتا السورتين بالحروف المقطعة التي كثرت فيها أقوال المفسرين وأهل العلم.

وقد تعددت التوجيهات في تفسير تلك الحروف المقطعة، فقيل: إنها أسماء للسور الواقعة هي فيها، وقيل: أقسام أَقسم بها لتشريف قدر الكتابة، وتنبيه العرب الأميين إلى فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية، أو إنها حروف مقتضبة من أسماء وصفات لله تعالى المفتتحة بحروف مماثلة لهذه الحروف المقطعة، وهذا القول رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: إنها حروف قصد منها تنبيه السامع مثل النداء المقصود به التنبيه وإيقاظ ذهن السامع، وتشويق القارئ[٢].

---

(١) انظر: أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطي، ص٥٨.

(٢) راجع: التحرير والتنوير ١/ ٢٠٦-٢٠٨، وتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ٨/ ٢٩٩.

أما عن رأي أغلب المفسرين المعتبرين فهم يذهبون إلى أن افتتاح بعض السور القرآنية بتلك الحروف الهجائية إنما هو للدلالة على أن هذا القرآن الكريم الذي تحدى به الله تعالى أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة من قريش فعجزوا عن الإتيان بأقل سورة من مثله إنما نزل بالحروف التي يعرفونها، ويكتبون بها، فيكون هذا تقريعاً لهم وتوبيخاً لإعراضهم عن الإيمان به[١]. وهذا رأي رصين وإليه تميل النفس.

الكتاب العظيم:

وتستهل السورة ببيان رسالة النبي ﷺ وهي إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية والإيمان بإذن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [ابراهيم: ١] والمعنى: هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد لتخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان والهداية بما أذن لك من تعليمهم ودعائهم إلى الإيمان، أو بتوفيقه إياهم ولطفه بهم إلى طريقة الله الواضحة التي شرعها لعباده وأمرهم بالالتزام بها، والمصير إليها، والدخول فيها[٢].

وقيل: المقصود بالكتاب سورة إبراهيم، ولكن الصواب أن المقصود به القرآن الكريم. والله أعلم

إعراب قوله سبحانه ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾:

تعددت الآراء[٣] في إعراب قوله ـ سبحانه ـ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾ فقيل: ﴿الٓر﴾

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ١/ ١٦.

(٢) انظر: فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ٣/ ٩٧ وزُبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص ٢٥٥.

(٣) راجع مثلاً: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/ ١٧.